غبطة أبينا السيّد البطريرك، ممثّلاً بصاحب السيادة المطران بولس عبد الساتر السامي الإحترام،
دولة الرئيس فؤاد السنيورة، ممثّلاً ب
أصحاب السيادة والمعالي والسعادة، والفعاليّات السياسيّة والمدنيّة والعسكرّية والدينيّة.
أيها الحضور الكريم.

لقد شاءت العناية أن نكون معاً في هذا الوطن، نتشارك المصير والتحدّيات، الأفراح والآلام. لقد شاءت الإرادة الألهيّة أن نتشارك نفس المسار والمصير، نركب القارب المشترك، قارب الوطن الواحد، على مساحة شرق شاءه الرّب منطلقاً للأديان التوحيديّة، قارباً إن أغرقناه نغرق كلّنا، وأن أعطينا لكلّ منّا مكانه، تبلغ الآفاق، ونعلن قيم جمال العيش معاً، بتمايز دون اقتتال، بخصائص تُحتَرَم ولا تصبح سبب تمييز. لقد شاءت إرادة الرّب أن نشهد معاً لجماله الإلهيّ في شخص الآخر، وفي كرامة الآخر، وفي غناه ومقدّراته.
لن يكون لنا الخلاص، وإن سُنَّت الشرائع، ونصّت القوانين، وحُدِّدت الأنظمة والتشريعات، ما لم يتحوّل احترام الاختلاف الى مُلكة في الأنسان، الى صفة طبيعية كما التنفّس، والتفكير. لكيما يٍحترم الاختلاف، ونرغب بالعيش معاً، لا بدّ من الأنتقال بأجيالنا الجديدة من منطق المجموعة الى حالة المواطنة.
فالاختلاف طبيّعي، اختلاف دينيّ أو عرقيّ، لغويّ أو دينيّ، سياسيّ واجتماعيّ. الأختلاف هو ما يجعل الإنسان حرّاً، قادراً على الاختيار، واع لهويّته، ينطلق من كينونته وارثه ومخزونه الثقافي ليعانق الآخر المختلف، يعانقه رغم الإختلاف إن هو ناضج، ويعانقه لأنّه مختلفٌ إن هو مواطن.
والمجتمع البشريّ، حين يقبل الإختلاف، يتحوّل الى واحة غنى وتنوّع، يعمل على احترام خصائص كلّ مكوّن، بابعاده الفكريّة والدينيّة والثقافيّة والإجتماعيّة، ينقّيها من كلّ انغلاق وتقوقع وتعصّب، يجعل من مجموع الأفراد جماعة مواطنين يتّحدون على القيم الجامعة. إن المجتمع الناجح هو

المجتمع الّذي يحفظ هذا التوازن الدقيق، كصائغ يقيس بميزان الذهب، ويحافظ على الوحدة وعلى التمايز في آن معاً، ليولد من رحم التعدّدية الكائنَ المواطن الملتزم.

"من إعلان الأزهر الى إعلان اللويزة"، هذا الحدث الّذي كان لجامعة سيّدة اللويزة شرف احتضانه في حناياها، هو تعبير عن واحدة من قيم الجامعة الثمانية: الاختلاف: "التعاطف، التسامح واحترام كلّ البشر هي صفة أساسيّة من صفات المجتمع الجامعيّ. وجامعة سيّدة اللويزة تشجّع طلابّها على فهم اختلاف الثقافات واحترامها، إن محلّياً، وطنيّاً أو عالمياً. وتسعى الجامعة أيضاً الى نشر احترام الاختلاف عبر فهم أهميّة تأثير الكائن البشرّي على محيطه" (قيم جامعة سيّدة اللويزة، ٨).

حين تفشل الجامعة في تحقيق هذه الغاية، فلا جدوى من بقائها. فالجامعة، كما يعني اسمها، هي هذه المؤسّسة التي تتحوّل الى مجتمع مصغّر جامع. إن كانت الجامعة لا تجمع، فهي تحيا خيانةً لهويّتها. واليوم، مع تنامي ظاهرة رفض الإختلاف، والأنتقال حتى من الرفض المسالم، والتحاشي، والأنعزال والخصومة الى حالة التعسّف والقمع والتمييّز وصولاً الى الإبادة الجسدّية، لا بدّ للجامعة من فحص لضميرها، لتقيّم من جديد ما قدّمته وما يمكنها أن تقدّم أكثر، في سبيل خلق هذا المجتمع الناضج المتآخي.

إن مواطن القرن الحادي والعشرين يحتاج الى ان يعرف كيف يحيا الإختلاف، وكيف يتصرّف، وأن يكتسب المهارات التي تجعل منه كائناً تواصليّاً، يحترم التمايز، ويقدّر حقّ الآخر في أن يكون مختلف. والحرب الّتي خضنا غمارها في ما مضى، والشقاق الّذي لا نزال نتألّم منه حتّى اليوم، وسّع الهوّة وكبّر الشرخ بين مكوّنات وطننا وشرقنا والعالم بأسره.

دور الجامعة هي في أن تعيد تحديد الأولويّات، وأن تعي أن واجبها لا يكمن في خدمة الطالب من الناحية الأكاديميّة فقط، ولا أن يضيف الى معرفته معلومات ومهارات. من صميم واجبات الجامعة أن تجمع: أن تجمع مختلفين في واحة حوار، أن تجمع ثقافات في ساحة لقاء لتغنتي بالثقافة الثقافة الأخرى، دون أن تذوب الواحدة بالأخرى، ودون أن نضحّي بالأقل في سبيل الأكثر. ميزان الذهب هذا

بين حفظ الأختلاف وتوحيد المفاهيم عبر المواطنيّة لا بدّ أن يكون أداة الجامعة في سعيها نحو بناء المواطن الصالح في فترة ارتياد الطالب لجامعتنا، والا، أكرّر، فقدت الجامعة معنى وجودها. إن لم يولد من رحم الجامعة الإنسانُ المؤمن بحق الآخر بالاختلاف، فلا جدوى من جامعاتنا. إن لم يولد من رحم الجامعة الإنسان المؤمن في حياته اليوميّة، والمواطن في المجتمع، فلا جدوى من البحث عن حلول. إن تحوّلت الجامعات الى مصدّر للطاقات والمعرفة، وفشلت في أن تبني في الإنسان الإنسانيّة، فلا جدوى من بقائها. إن صارت الجامعات مصدرَ تقوقع وانغلاق وأحاديّة فكرّية، تصبح لا جامعة، تصبح مقسّمة مميّزة مضطهدة، تهدم الإنسان وتلغي المواطنة، وتفشل في أداء الدور الّذي خلقت من الأصل لأن تكونه: خادمة للإنسان بكافّة أبعاده، الجسديّة والفكريّة والنفسيّة والعاطفيّة والرّوحيّة، لتموت في الأنسان القسوة ورفض الأختلاف، وينمو فيه الفخر بارثه الدينيّ والثقافيّ، فيولد فيه المواطن الناضج، القادر على رؤية الآخر كأخ له في الإنسانيّة، وإن اختلف معه في أي إرث آخر.

لهذا تفتخر جامعة سيّدة اللويزة أن تكون هنا، لتجدّد ايمانها بلبنان، وبالانسان في لبنان، وبحق الإنسان في الاختيار، وباحترام هذا الحقّ مهما كان الاختيار. وهي هنا ايضاً لتجدد التزامها بإعلان اللويزة الأوّل، في مجمع سيّدة اللويزة، عام ١٧٣٦، حين نادى المجتمعون بحق العلم للجميع، لينمو الإنسان الناضج والمواطن الصالح. هناك بدأ يتصوّر جنين لبنان المواطنيّة والعيش الأخويّ المشترك، قبل قرنين من ولادة لبنان الكبير.

لذلك، كمؤسّسة تعليم عالي، نجدّد التزامنا بخدمة الانسان في لبنان، بكل اطيافه وانتماءاته. نخدمه، نحبّه ونرى فيه صورة لبنان الغد الّذي نريد، ليتحول شرقنا بأسره الى صورة لهذا اللبنان الجامع.

وشكراً